

فلا يستغرب أحد رؤية كهول الإنكليز يمرنون أبدانهم كأنهم فتيان لأن التدبير الصحي واجب في كل حال ولم يقدم علم الأبدان على علم الأديان ألا ليتقرر في النفوس وجوب الاعتناء بصحتها

الاعتقاد بالمعاد

من مقالة للمستر غلادستون الشهير

[كتب الاستاذون العالم باللغة العبرانية والعقائد الدينية مقالة في المخلود في جريدة دبية طبع بمدينة كلكتا قال فيها انه رأى في بعض المزامير ما يدل على المخلود وذهب الى ان هذه المزامير أتت في اوخر مدة تسلط الفرس على بلاد الشام وبالتالي ان الاعتقاد بالمعاد مقتبس منهم وانه من معتقدات الشر وما استدلو عليه استدلالاً بارتائهم . فرد عليه المستر غلادستون حاسباً ان الاعتقاد بالمعاد قدم جداً وان الله سبحانه اوحى به الى البشر منذ القدم ثم ضاع منهم على تبادي الزمان وتقدم العمران وهالك خلاصة ادلتيه]

ان تقدم العمران لم يبق الاعتقاد بالعبادة الالهية بل اضعفته على ما ارى . فخذ مثلاً لذلك هوميروس الشاعر وهيروdotus المؤرخ فانها كليهما رجلان فاضلان وبينهما عدة قرون ولكن الاعتقاد بالعبادة الالهية اظهر في كتابات الاول منه في كتابات الثاني حتى اذا بلغنا ثيسيديس المؤرخ الذي نشأ بعد هيروdotus بنصف قرن رأينا كتاباته خالية من كل اثر ديني بل خالية من الاعتقاد بقوة خالقة . ومعلوم ان بلاد اليونان تقدمت تقدماً عظيماً في العمران بين زمان هوميروس وثيسيديس ولكنها اضعفت الاعتقاد بالعبادة الالهية حتى ان ارسطوطاليس ابعدها عن البشر بعد الهياكل عن الارض لما اعتدى بصائر الناس من العجز والقصور ولا بد من انها اضعفت الاعتقاد بالمعاد كما اضعفت الاعتقاد بالعبادة

اما النتائج التي قادني اليها فهي

اولاً ان تصورات الانسان من قبيل المعاد لم تقدم بتقدم العمران بل تهافتت بتقدمه ثانياً ان في التوراة ادلة اخرى غير ما في المزامير على ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بالمعاد ولو لم تكن هذه الادلة كثيرة جلية

ثالثاً ان الدين الموسوي لم يقصد به حفظ الاعتقاد بالمعاد بنوع خاص ومن العمل

ان بعض الاديان الاخرى كانت اشد منه محافظة على هذا الاعتقاد
اما القضية الاولى فالبحث فيها محنوف بالمصاعب لان الديانة اليونانية التي يمكن تأثرها
في اطوارها المختلفة بما بقي من مؤلفات اهلها لا تعلم بالمعاد تعليماً واضحاً. والديانة الاشورية
التي يرجح ان يعلم تاريخها في مدة طويلة لم تتعرض كثيراً لامر المعاد كما قال رولتسن.
واذا التفتنا الى ديانة المصريين القدماء والنرس وجدنا وسائط المتابعة بين حالتها القديمة
والناخرة ناقصة جداً ولكنها لا تخلو من الفائدة فديانة النرس كانت في اول امرها ثنوية
تعلم بوجود مبدئين مجردين مبدئ الخير ومبدئ الشر ثم جعلها شخصين متناقضين ثم ساد
مذهب الجوس في البلاد. وكانت الديانة القديمة تعلم بالمعاد والجزء ولكن لما كتب
هيرودوتس ما كتبه عن ديانة النرس وصف ديانة الجوس وطرق عبادتهم وكأنه لم يعرف
شيئاً عن ديانة النرس القدماء الا انها كانت خالية من المياكل والمذابح والاصنام وكانت
قد صارت ديانة المحكومة ولم تعد ديانة النصب اي تقلص ظل الديانة العنقية المجردة
وشاعت الديانة الرمزية بدلاً منها. ولادليل هناك على تقدم الاعتقاد بالمعاد بل يظهر ان هذا
الاعتقاد انطوى تحت حجاب النسيان. وكانت العلاقة بين النرس واليونان شديدة جداً
حتى ان كثيرين من كتاب اليونان ومنهم ارسطوطاليس نَسَبوا كتباً عن ديانة النرس
والمرجح انهم لم يكتبوا عن الديانة القديمة بل عن الحديثة ولم يشر الى المعاد الا واحد منهم
فقط مع ان الاعتقاد به كان شائعاً في ديانة النرس القدماء كما سيأتي.

وكانت العلاقة السياسية بين اليونان ومصر شديدة في العصور السابقة لعصر التاريخ.
وقد علم الآن ان الاعتقاد بالمعاد كان راسخاً في نفوس المصريين الاقدمين ولكن
هيرودوتس افرد اكثر من اربعين فصلاً من كتابه الثاني لوصف ديانتهم وشعائرهم ولم
يذكر فيها اعتقادهم بالمعاد مع انه ذكر معتقدتهم القديم في مكان آخر من كتابه
ومهما جوفتال ديانة المصريين في عصره ولو كان المعاد مشهوراً فيها حيثنذكره
على الارجح. وقد رأيت في كتابات فلوطرفس ما ينفث عن ان كهنة المصريين كانوا قد
تخللوا ما في ديانتهم عن اوسيرس وهوائه بنفسي للاموات ومحاسب كل احد بحسب اعماله
كأنهم حسبوا ذلك خرافة لا تليق بعصرهم. وكتب ايامليكوس في عصر قسطنطين عن
الديانة المصرية واحلها محلاً رفيعاً ولكنه لم يذكر شيئاً من امر تعليمها بالمعاد وذلك كله دليل
على ان التعليم بالمعاد الذي كان جزءاً جوهرياً من ديانة المصريين القدماء اخفى منها على
توالي الايام والاعوام

وهذا كان شأن اليونان أيضاً مع انهم لم يعتقدوا بالمعاد في عصر من العصور اعتقاداً راسخاً كما اعتقدوا المصريون والآشوريون في اول امرهم . فان الهاوية التي ذكرها هوميروس في الاودسي مستعارة من ديانة المصريين والآشوريين كما يستفاد من وصفها ولذلك جعلها وراء الاوقيانوس . والاسم الذي ذكر في الابلياد لدار الاموات وهو ادا متوس يظهر انه مخترع من اسمها المصري وهو ام تي . وذكر هوميروس اسم نيتوس وقال انه يقضي بين الارواح والاسم مصري كما لا يخفى . ولا بد من ان الاعتقاد بالمعاد كان شائعاً في عصره والما ادخله في شعره . ولكن لم تدم الحال على هذا المتوال لان الاعتقاد بالمعاد زال من عقول اليونانيين رويداً رويداً حتى صار بعض فلاسفتهم ينكرون الوجود

وخلاصة ذلك كله ان الاعتقاد بالمعاد لم يزد رسوخاً بتقدم البشر بل زاد غوضاً حتى كاد يخفى . ولا دليل على ان بني اسرائيل اقتبسوه من الفرس في سبيهم لان سبيهم كان بابلياً والفرس ابطولوه ووردوا اليهود الى بلادهم ثم ان الفرس كانوا في ذلك العصر قد اطلقوا مذهب زرواستر الذي يعلم بالمعاد واستعاضوا عنه بمذهب الجوس

هذا من جهة القضية الاولى اما القضية الثانية وهي ان في التوراة ادلة اخرى على الاعتقاد بالخلود فواضحة من قصة اخوخ الذي يقال ان الله نقله فان معنى الكلمة العبرانية مأخوذ من نقل الشجرة وغرسها في مكان آخر . ومن قصة ايليا الذي قيل انه نقل الى السماء بمشهد خمسين من ابناء الانبياء فان بني اسرائيل صدقوه واعتقدوه الى عصرنا هذا فهل يصدق ان الامة التي اعتقدت بانتقال ايليا الى السماء بمجده تحسب ان لا معاد وان وجود ايليا ثلاثي حين نقل الى السماء

والعرافة التي كان بنو اسرائيل يعتقدون بها تدل على انهم كانوا يعتقدون بالمعاد ايضاً كما يظهر من قصة عزافة عين دور . واختلاف السراح من اليهود والمسيحيين في امر هذه القصة لا يمس الحقيقة المتقدمة وهي ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بان النفس لا تموت بموت الجسد . ولا يظهر من التوراة ان في دار الخلود عقاباً ونواباً بنوع صريح مع ان فيها ادلة كثيرة على ثواب الابرار وراحمهم . وجهه ما اريد اثباته ان بني اسرائيل كانوا يعتقدون بالخلود قبل المسي وبعده . وما ان الاعتقاد بالله تعالى وبقرية من البشر كان اقوى قبل المسي منه بعده فالمرجح ان الاعتقاد بالمعاد كان قبل المسي اقوى منه بعده ولا دليل على ان اليهود تعلموا شيئاً يقينياً عن الخلود بعد المسي ما كانوا مجهولين قبله لا من البابليين ولا من الفرس

واما من جهة القضية الثالثة فاذا سلمنا ان الاعتقاد بالمعاد لم يكن صريحاً في التوراة ولا هو من الفرائض التي كتف يهو اسرائيل الاعتقاد بها فهل كان بين بقية امم الارض شيء يدعو الى حفظ هذه العقيدة والجواب على ذلك بالاجاب. وفي التوراة ادلة كثيرة على ان الله سبحانه لم يحصر وحيه بامم اليهود ولا بما كتب في التوراة ومنها قصة ملكي صادق وزواج يوسف الصديق بامم كاهن اون وزواج موسى بامم كاهن مدين واعطاء جانب من ارض الموعد للكنعانيين وسيرة بلعام وراعوث المراتية. ولكن الذين تمسكوا بالتوراة اخذوا فيها جانب الجدل فحكوا ان الله لم يختار سوى شعب واحد. ثم ان المباحث الحديثة في آثار الاثوريين والمصريين قد ابانت لنا انهم كانوا يعلمون اموراً دينية ما نعلم نحن الآن ولم يكن معروفاً عند اليهود كما كان معروفاً عندهم وهذا دليل على وجود وحي سابق اتصل بديك الشعبين قبل ايام موسى الكليم ومن قيل ذلك الاعتقاد بالمعاد فانه مثبت واضح في ديانة المصريين والبرانيين القدماء والشعبان لسان الشعوب السامية التي خصت بكثير من العقائد الدينية اما المصريون فقالوا بالمعاد والدينونة وان اعمال الانسان توزن في ميزان الحق ثم يوثق بويلدان امام اوسيرس. وكان المصريون القدماء يتبعون النضيلة مخافة الدينونة الاخيرة التي يدانون بها عما ارتكبه من الجرائم وما اهلوه من الواجبات. وكان جزاء الامرار عظيماً يفوق الوصف وغتاب الاشرار شديداً فيجزم عليهم بالتقص في ادنى انواع الحيوانات. ورسوم معتدلة هذا منقوشة في اقدم آثارهم والظاهر ان عقيدتهم ضعفت مع الزمان ولكن بقي جوهرها على حاله الى ايام فيثاغورس وافلاطون للذين تعلموا عقيدة الخلود منهم

والاعتقاد بالدينونة والثواب والعقاب ظاهر ايضاً في ديانة الفرس القدماء فانهم كانوا يعتقدون بقيامه الاجساد ويقولون ان نفس الميت تدنو من جمر مكان الحشر (شيوات) في اليوم الثالث من المات تحيط بها الارواح الصالحة من جهة والطالحة من اخرى ويحاسبها الاله هرمزد نفسه عما فعلت وتعتبر النفوس الطاهرة السراط الى السماء مع جماعة الصالحين. واما النفوس الخائفة فلا تجد صديقاً فعودها الارواح الشريرة الى الهاوية. ولكن يظهر من فصل في تاريخ هيرودس ان هذه العقيدة ضعفت في ايام الملك كسيس

وجملة القول ان في تاريخ البشردالة قوية على ان عقيدة الاقدمين بالمعاد كانت اقوى من عقيدة الذين جاؤوا بعدهم وان ارتفاع الناس في الحضارة لم يبق هذه العقيدة بل اضعفها فرسوخها في نفوس الاقدمين لم يكن نتيجة ارتفاعهم فلا بد من انها اتصلت اليهم بالوحي الالهي